1- مفهوم النص من خلال ما قدمه بعض النقاد المعاصرين.

2- النص الأدبي من السياق إلى النسق.

- المنهج التاريخي.
- المنهج النفسي.
- المنهج الاجتماعي.
- المنهج الشكلي.
- المنهج البنيوي.

طالما اعتبر النّص عامة من أهم الوسائط التي تمدّ الدارس بمختلف المواد العلمية والمعرفية، فالنّص الأدبي كغيره من النّصوص يعتبر المادة الخام، بحاجة إلى معالجة ودراسة، وتختلف السبل التي تتم من خلالها هذه العملية، وهي تعرف بمصطلح "النّقد"، ومن يقوم بهذه العملية هو "النّاقد"، وتختلف طرق ومناهج النّقاد في دراسة النّصوص الأدبية، ولعل أول الإشكاليات التي تواجه هذا الأخير هي تحديد مفهوم للنّص بصفة عامة، وهذا بسبب تعدد مناهج النّقاد واتجاهاتهم وآرائهم. مما يضعنا أمام إشكالية أخرى وهي تعدد المفاهيم وتنوعها وبالتالي صعوبة تحديد مفهوم عام وشامل لمصطلح "النّص" من خلال الكم الهائل من التعاريف التي قدمها النّقاد والدارسون "باعتبار جلالة الغموض والوضوح من أهم خصائص النص في الدراسات النقدية الحديثة".[1]

وقد قدم لنا الموروث الأدبي العربي القديم في المعاجم وأمهات الكتب بعض التعاريف للفظة "نّص" حسب ما كان متداول عند العرب قديما في أشعارهم وأمثالهم وحكمهم وغيرها: إلاّ أنه لم يكن يوجد مفهوما واضحا وتحديدًا نهائيًا لمعنى هذا الأخير. وهذا ما سنتطرق له من خلال تناول بعض التعاريف في المعاجم العربية العتيقة. (محاضرات الأستاذ محمد مرتاض).

1- مفهوم النص من خلال ما قدمه بعض النقاد المعاصرين:

لقد لاحظنا أن "ثمة مسوغات عديدة للنظر في طبيعة النص الأدبي الحديث وربما كان من أهمها تعزيزا لتوجه الجديد الملاحظ مؤخرًا في النقد العربي الحديث نحو العناية بالنصوص الأدبية ذاتها".[2]

فقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية الخاصة بلفظة "النّص" بتعدد توجيهاتها النظرية والمناهجية. وبما أن هذا الكم الهائل من التعريفات والمفاهيم والآراء يقاس لنا وجهة النظر الخاصة بكل دارس أو ناقد فإننا سنقتصر على البعض منها. يقول سعيد يقطين في كتابه "انفتاح النص الروائي": "النص بنية

---

[1]- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، سنة 2014، ص 177.

[2]- عبد الله أبو هيف: مكونات النص الأدبي العربي الحديث، مجلة النقد، العدد 24 جوان 1990، ص 32.

دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة".[1]

"والنص هو كل ما تنقرء فيه الكتابة، وتكتب فيه القراءة".[2] يعني أن النص هو كل ما كتب وكان باستطاعتنا قراءته.

"فقد عدّ رولان بارت R.BARTHE: النّص نسيجا ولكن طالما تم اعتبار هذا النسيج على أنه منتج وحجاب جاهز يكمن وراءه نوعا ما المعنى مختفيا.

فإننا سنشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية القائلة: إنّ النّص يتكون ويضع نفسه من خلال تشابك مستمر، ولو أجينا عمليا استحداث الألفاظ لاستطعنا أن نصف نظرية النص بكونها علم نسيج العنكبوت".[3]

بمعنى أن رولان بارت قام بمقارنة تعتمد على التشابه الموجود في النص بمثابة نسيج مثل نسيج العنكبوت متماسك وتختفي وراءه الحقيقة، فالكاتب هنا شأنه شأن العنكبوت أي أنه ينتج من ذاته والنّص يعادل أو يوازي شبكة العنكبوت في تماسكها والكلمات والجمل بمثابة الخيوط التي تشكل الشبكة.

كما يرى النقاد والدارسون على أنّ النّص "بنية دلالية تنتجها ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية".[4]

والنص الأدبي بالنسبة لمحمد زكي العشماوي "هو نتيجة ما في الفنان من تباين وفردية... وتلك الفردية مظهرين واضحين في الإنتاج الفني، وهذه الفردية أو الذاتية التي تميز الفن من العلم،

---

[1]- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، للعرب، الطبعة الثالثة 2001، ص 32.

[2]- رشيد بن حدو: قراءة في القراءة، مجلة الفكر -4- العربي المعاصر مركز الإنماء القومي، بيروت: عدد 49/48، 1988، ص13.

[3]- بشير إبير: النص الأدبي وتعدد القراءات، ص2: نقلا عن رولان بارت: لذة النص: ت. محمد الولي ومحمد بدوي: مجلة العرب والفكر العلمي العدد 10-1990، ص35).

[4]- محمد عزام: النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، إتحاد لكتاب العرب، دمشق 2001، ص14.

عند النقاد وعلماء الجمال، هي العنصر الأساسي الذي يجعل الفن عند خلقه يتسم بسمة الأصالة: التي هي مجموعة الخصائص الفردية المميزة للأشخاص".[1]

ويرى "فان دايك" أن النص نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال وعمليات تلف واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى".[2]

ومن المعاصرين أيضا الذي عملوا جاهدين على تحديد مفهوم تمائي للنّص الأدبي نجد الدكتور عبد المالك مرتاض فهذا الأخير لا يحدد النّص من حيث الكم أو الشكل "لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبيرة مجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصًا قائما بذاته مستقلا بنفسه، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية و الألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية هي تجري مجرى الكلام".[3]

كما يستند عبد المالك مرتاض في تحديد مفهوم النص على نظرية القراءة "فالنص قائم على التحديد بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصيته عطا نيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مهجر القراءة. فالنّص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة ولعل هذا ما تطلق عليه جوليا كريستفا إنتاجية النّص حيث أنه يتخذ من اللّغة مجالا لنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللّغة، محدثا بعدًا بين لغة الاستعمال اليومية وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس والحجم الشاعر للفا علبات الدالية فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة من مراحله ومظاهره". [4]

---

[1]- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت سنة 1979، ص2.

[2]- المرجع نفسه ص 15.

[3]- رشيد عمران: نحو لسانيات نصية عربية، نقلا عن عبد المالك مرتاض: في نظرية النص، جريدة المجاهد، عدد 1424، ص 57.

[4]- نفس المرجع: ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر 1997، ص 68.

فالنّص عند عبد المالك مرتاض: "شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والإيديولوجية تتضافر فيما بينها لتكون خطابًا، فإذا استوى مارس تأثيرًا عجيبا من أجل إنتاج نصوص أخرى. فالنّص قائم على التجديد بحكم مقروئيته".[1]

أما بالنسبة لسعيد يقطين فهو يرى بأن "النص مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدى المتلقي".[2]

ويقول فاولر في كتابه "اللسانيات والرواية: "إن النص يعني البنية السطحية النصية الأكثر إدراكا ومعاينة... وعند اللساني هذه البنية هي متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها، تشكل استمرار وانسجاما على صعيد تلك المتوالية".[3]

أما جوليا كريستيفا ترى بأن النص "هو جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان CANGUE عن طريق ربطه بالكلام PAROLE التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة".[4]

فهذا التعريف يحدد لنا علاقة النص باللسان وهي علاقة مبنية على الهدم والبناء. وفي رأي الأستاذ سعيد يقطين فإن النص الواحد يحتوي على ملفوظات مأخوذة من نصوص كثيرة غير النص الأصلي، أي نصوص سابقة وموازية لهذا الأخير.[5]

ويرى جاك ديردا بأنّ "ارتباط مفهوم النّص الأدبي بخصوصية بنائه هي الفكرة نفسها التي جعلت 'جاك ديردا' واحد من الجيل الثاني للبنيوية يقدّم فهمه للنّص كاشفا عن حقيقته قائلا: 'لا

---

[1]– عبد المالك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992، ص 55.

[2]– سعيد يقطين: الرواية و التراث السردي من أجل وعي جديد، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1-1992، ص23.

[3]– سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص12.

[4]– نفس المرجع ص 19.

[5]– نفس المرجع "بتصرف" ص 19.

يوجد شيء خارج النّص[1] ما يحيل إلى أن النّص هو البنية اللغوية ذاتها التي يتلبّسها النّص وما تنطوي عليه من إمكانات الإحالة، والحفر في النّص على حد تعبير 'دريدا' لا يعني غير إحداث ثقب في بنية النص لاكتشاف الخبايا والعناصر المتوارية خلف الوجود الفيزيائي للنّص، ولعل هذا ما قصده بالتفكيك الذي يستهدف العلاقات التركيبية في النّص عبر ممارسة التفتيت من أجل إعادة بناء العناصر، محققا اكتشاف البنية التي كانت قائمة من قبل في العمل، وكأن المسألة ترتبط بضرورة الهدم من أجل اكتشاف كيفية بناء النّص".[1]

"ومن منظور آخر يرى هاليدي M.HALLIDY ورقية حسن أنّ حقيقة النّص قائمة على التماسك، أي المظهر الذي يعكسه انتظام العناصر ضمن النّسق اللغوي، إذ يعتبران أنّ: النّص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النّص. فلكي تكون لأي نص نصيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة".[2]

ومن خلال كل هذه التعريفات التي قدمها النقاد والدارسون المعاصرون يمكننا أن نقول بأن النص له مفاهيم متعددة لا نستطيع تحديد مفهوم نهائي ودقيق بشكل عام، تبعا لتعدد المناهج والمذاهب الأدبية الخاصة بكل دارس، فبارت يرى النص نسيجا يكمن وراءه المعنى الحقيقي و يمكننا أن نختفي فيه ويصبح جزءا من شخصيتنا، أما بالنسبة 'لجاك دريدا' يرى بأن النص هو البنية اللغوية ذاتها التي يتلبسها النّص وما تنطوي عليه من إمكانات وينظر عبد المالك مرتاض إلى النّص على أنه كلام قائم بذاته ومستقلا بنفسه ويمكن تحديد مفهومه من حيث قابلية القراءة.

النص الأدبي من السياق إلى النسق:

[1] - دهيمي حكيم: تشكل مفهوم النص في المنظور النقدي الغربي والعربي، مجلة الأثر، العدد 21، ديسمبر 2014، الجزائر ص152.
[2] - المرجع السابق ص 153.

النص الأدبي هو جملة من المعارف وعلى رأسها المعرفة الأدبية ويقدم لنا حقيقة فنية تنتج من ذات المنتج، وهذا الأخير "له هويته، كما لكل شيء هويته".[1]

والنص الأدبي يتميز بمجموعة من الخصائص "وهي التي تجعل من كل أثر فن صورة متميزة تحمل روح كاتبها ومزاجه ولفتات ذهنه وقدراته على التعبير، ومدى يتصف به من صفات فنية مختلفة".[2]

فمثلا عند قراءة أي عبارة أو فقرة ما تكون قراءة كل فرد وكيفية تلقيه لهذه العبارة مبنية على خصوصيته النفسية، والمعرفية والإجتماعية فالتلقي يكون خاص بكل فرد لا يشبه الآخر. فالنص الأدبي بما يملكه من طاقات فنية وجمالية يخاطب الجانب الداخلي للمتلقي ولهذا يقول الدوس هكسلي: "إن أحد ردود الفعل الطبيعية التي تعترينا عقب قراءتنا لمقطوعة جيدة من الأدب يمكن أن يعبر عنه بالمسلمة الآتية هذا ما كنت أشعر به وأفكر فيه دائما، ولكنني لم أكن قادرا على أن أصوغ هذا الإحساس في كلمات حتى ولا لنفسي".[3]

بمعنى أن عند قراءتنا لأي مقطوعة أو عبارة أدبية جيدة تحرك "ذات الإنسان الذي يرقد في أعماقنا".[4] ينتبنا شعور بأن هذه المقطوعة كانت تجول في أذهاننا و نحس بها ولكن لم نستطع التعبير عنها أو تفسيرها.

لقد حظي مفهوم النص الأدبي وعلاقاته المتعددة بدءا من سياقه وصولا إلى نسقه، بعناية كبيرة من الدارسين والنقاد في المشرق والمغرب وذلك لأن دراسة النص الأدبي تقتضي استعمال

---

[1]- يمنى العيد: في معرفة النص، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ص 58.

[2]- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص 2.

[3]- المرجع السابق ص 3.

[4]- المرجع السابق ص 6.

العلامات والقوانين التي تتحكم في تشكيل سياق النص ونسقه، "فإن النقد الأدبي ينطلق من النّص وينتمي إليه، وللناقد أن يختار ما بين النّص والنّص، المقاربة التي يشاء، والمنهج الذي يراه ملائما".[1]

فالناقد عندما يدرس ويحلل نصًّا أدبيا يدرسه شكلا ومضمونا بمعنى أنه يدرسه بدءًا من سياقه الخارجي إلى نسقه الداخلي.

ونبدأ في دراستنا هذه بسياق النص الأدبي، فالناقد يربط العمل الأدبي للمؤلف بالعوامل المحيطة به، بمعنى أنه يربط النص الأدبي بظروف إنتاجه، والعوامل المؤثرة عليه وعلى بيئته التاريخية والإجتماعية والثقافية والنفسية والسياسية والإقتصادية....

فذهب "علي آيت أوشان" في "السياق والنص الشعري" إلى بيان أهمية السياق في القراءة النقدية ....قائلا: "الواقع أنّ السياق أداة إجرائية فعالة لا يمكن الاستغناء عنه، إذ يلعب دورًا أساسيا في تحديد المعنى وفهم الملفوظات، خاصة إذا أخذناه بمعناه الواسع. حيث يستدعي ما هو اجتماعي وتاريخي وثقافي ونفسي".[2]

ومن هنا نقول بأن فهم النص وتفسيره وتحليله لا يتم إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره عنصرا هاما وأساسيا في تحديد المعنى، والنّص يعكس الواقع الذي أنتج فيه. "إذا لا يتكون من وحدات لسانية وحدها بل تتدخل عوامل خارجية تؤثر في كيفية بنائه. فالنصوص تنتج في ظروف معينة لأداء أغراض معينة، ولذا يجب أن يؤخذ السياق بعين الاعتبار في أثناء تشكل النصوص".[3]

---

[1]- تأليف مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: ت. د رضوان ظاظا ، سلسلة كتب ثقافية، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1997، ص6.

[2]- عبد الغني حسني: مقالة معجم النص الأدبي بين السياق وتعدد الدلالة، شبكة الألوكة 2011، نقلا عن السياق والنص الشعري: من بنية القراءة، علي آيت أوشان، ط1: دار الثقافة، الدار البيضاء 2000. ص41. www. alukah.com

[3]- قارة مصطفى نور الدين: تجلي النعت المهاجر بعنوان النص الأدبي من النسق للطلق إلى النسق المفتوح، مذكرة دكتوراه مخطوطة .ص 56.

فالمؤثرات السياقية والإجتماعية والتاريخية... "من الممكن أن تنعكس على النّص فيصطبغ ببعض ألوانها لذلك يسعى النقد التقليدي إلى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج إلى أغوار النّص وإضاءة جوانبه الداخلية".[1]

"فكل من النص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر"[2] وهو ما يؤكد عليه جون لاينز أيضا، "إذ يرى أنّ كلا منهما متمم للآخر. وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها، وتعديلها بشكل دائم بوساطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة".[3]

أما بالنسبة للناحية الثانية وهي نسق النص. فالدارس هنا يهتم بالبنية الداخلية للنّص أي يهتم به من حيث "اللغة وفعل التواصل، لذلك اشتركت جملة من التعريفات في تفسير النص، على أساس فعل أنه لغوي، أنجز لتحقيق غرض معين ضمن نطاق عملية تواصلية، أي أنه محدد بغاية تواصلية، فالنص هو كل جزء لغوي، منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل".[4]

وهنا تظهر إشكالية الصراع الممتد بين فريقين: فريق يرى بأن النص الأدبي مرتبط بالمؤثرات الخارجية له، وفريق ثاني يرى بأن دراسة النص الأدبي تنطلق من الأجزاء الداخلية التي تتحكم في بنيته الداخلية وقد ظهرت مناهج نقدية عديدة تقوم بدراسة النص الأدبي وكل دارس يحدد مفهوم النص بحسب المنهج الأدبي الذي يناصره.

---

[1]- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض بحث في المنهج والإشكالية، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر 2000، ب.ط، ص117-118. نقلا عن فطومة لحمادي: مقالة السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2008.

[2]- يوسف وغليسي، ص33. نقلا عن نفس المرجع.

[3]- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د/ عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط1-1987، ص 215. ، نقلا عن نفس المرجع.

[4]- فارة مصطفى نور الدين: أطروحة الدكتوراه بعنوان النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، ص81.

فقد أصبحت المناهج النقدية تحتل مكانة كبيرة وهامة جدًا في الدراسات الأدبية الحديثة والمعاصرة، فالمناهج إذن هي الطريقة أو الوسيلة التي تعالج وتحلل وتفسر بها النصوص الأدبية، وقد انقسمت المناهج النقدية إلى قسمين مناهج سياقية ومناهج نسقية.

فالقسم الأوّل وهو القسم الذي يمثل المناهج السياقية، وهي المناهج التي تهتم بالعوامل والظروف المنتجة للعمل الأدبي (المؤلف، التاريخ، المجتمع) وعلى رأس هذه المناهج.

المنهج التاريخي: "يوظف المنهج التاريخي المعلومات التاريخية في فهم الظاهرة الأدبية الإبداعية، منطلقا من عدّها معطى تاريخيا قبل كل شيء ويقوم على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه العمل الأدبي".[1]

ونجد أيضا **المنهج النفسي:** "النقد النفسي ركز على تاريخ حياة المؤلف ومشاعره وعواطفه وسيرته الذاتية الباطنية وتعامل مع النص على أنه وثيقة نفسية".[2] يعني أن المنهج النفسي يعتمد على ربط النص الأدبي بحالة المؤلف النفسية.

ثم **المنهج الاجتماعي:** وهو المنهج الذي "أطلق عليه النقد الواقعي أو الاجتماعي أو الماركسي وأحيانا اليساري، وجميعها تشير إلى النقد الذي ينظر إلى الأدب على أنه نتاج طبيعي للسياق الواقعي والفكري ويتعامل معه من منطلقات ومفاهيم، يستمدها غالبا من الفكر الماركسي...".[3]

أما القسم الثاني فهو القسم الذي يمثل المناهج النسقية وهي المناهج التي تهتم بشكل النص الأدبي ومضمونه. ولا تهتم بالجوانب الخارجية له.

---

[1] – رضوان جنيدي: محاضرات في مقياس البحث الأدبي "المنهج التاريخي"، ملتقى طاهري أمزن العقال الحاج موسى أق أخموك، تامنغست، الجزائر.

[2] – أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ج1، ط1–2003: ص178. نقلا عن مدنة بن سويكي: مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري: قسنطينة 2008/2007.

[3] – المرجع السابق ص8، نقلا عن سامي عبابنة: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث ط1–2004ص 86.

ومنها **المنهج الشكلاني**: أسسته عام 1915 حلقة موسكو اللغوية، وكان جاكبسون 1896 أنشط أعضائها حيث قال: "إنّ هدف علم الأدب ليس هو الأدب عموميته وإنما أدبيته، أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا".[1]

والمنهج البنيوي: "وكانت له إرهاصات عديدة تخمرت عبر النصف الأول من القرن العشرين في مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانا وزمانا".[2]

وقد اهتمت الدراسات النقدية أيضا بنظريات القراءة باعتبارها صاحبة السلطة في توجيه النص وتحديد قيمته الفنية والجمالية.

وفي النهاية نخلص القول بأن المناهج النقدية لا تدرس النص الأدبي من الناحية الخارجية فحسب، بل اهتمت بالناحية السياقية والنسقية في آن واحد فكل منهج يهتم بناحية معينة. "فالعمل الأدبي ليس وثيقة اجتماعية أو تاريخية، وليس موعظة بلاغية، وليس كشفا دينيا، وليس تأملاً فلسفيا حتى لو أمكن أن ينظر إليه على هذا النحو من أغراض معينة إن الفن 'وهم' و'خيال' والعالم فيه يتغير من خلال اللغة واللون والصوت".[3]

---

[1] – فتحي حسانية: مناهج تحليل النصوص الأدبية، نقلا عن صالح فضل، نظرية البنائية، ص23.

[2] – صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 85.

[3] إبراهيم السعافين: خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي: ص9.